

الرمز السابع

info@darak-egy.com



02 24832669-010 27251915



51 ب شارع النزهة - من امتداد رمسيس - القاهرة.



جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.

الرمز السابع

اسم المؤلف: أحمد بدران

تصميم الغلاف: عبير طوسون

تدقيق لغوي: محمود فرغلي

رقم الإيداع: 2021/30427

الترقيم الدولي: 978-977-6634-73-2

الطبعة الأولى: 2022

أحمد بدران

الرمز السابع

رواية



(ما نفعله لأنفسنا يموت معنا، وما نفعله للآخرين والبشرية،
يظل خالدًا لا يموت).

إذا أردت الحقائق.. فكن خِصمًا لكل ما تنظرُ إليه.

- الحسن بن الهيثم

جميع أسماء الشوارع والميادين والقصور التاريخية المذكورة في الرواية بأوصافها وتخطيطها الدقيق حقيقيةً، فضلاً عن حقيقة ثقافة الحضارات القديمة والأحداث التاريخية، والمبادئ العلمية، كما أن بعض مبادئ وأيقونات المنظمات السرية المذكورة، مستوحاة من الواقع.

الفصل الأول

خريف 1911م - قُرب سواحل الإسكندرية

يومٌ آخَر معتدل الحرارة صافي السماء، رغم ميول الشمس نحو الأفق الغربي تستحم في بحيرة الشفق، إلا أنها ما زالت تقوى على مدّ خيوط الدفء لصفحة مياه البحر المتوسط، مستوية ومترامية بلا نهاية يَشُقُّها أحدُ أسماك السردين شاردة عن سربها تدنو من السطح لحظات ثم تعاود الغوص في حرية واطمئنان تام، لم يُبدده سوى ذبذبة اهتزاز المياه من حولها، التقطتها أهداب الاستشعار لديها فأذرتهاا بدنو جسم ضخم يسبح تجاهها، فنكثت عائدة للقطيع وغاص الجميع هرباً من وحش أسطوري متمثل في بارجة حربية يرفرف فوقها العلم البريطاني، تشُقُّ الماء في هيبة وثقة، تتهادى صوب ميناء الإسكندرية، مما كان له الأثر في ترك قبطانها لموقعه في كابينة قيادتها وتوجه لغرفة إحدى الشخصيات رفيعة المستوى، طرَّق بابها عدة مرات، حين جاءه الصوت من الداخل:

- أعلم (تيري) إننا على مشارف الإسكندرية.

انفتح الباب وأكمل:

- شكراً لك، أنا مستعد تماماً.

انحنى الضابط يحيى المُعتمَد (هوراشيو هربرت كتشنر) أو (اللورد كتشنر)

كما هو مُلقب. غادر الضابط حين عاد اللورد داخل الغرفة، ثم خطا صوب نافذة زجاجية مستديرة يتطلع عبرها لأفق البحر المتوسط البعيد؛ حيث يتلاقى مع السماء مجازاً كدليل بصري حاسم على كروية الأرض، شارداً الذهن يسترجع وجوده من قبل في مصر كقائد أعلى للجيش وتكوينه وقتها لأخوية ذات مبادئ هو يعتنقها، ثم رحلته إلى الهند وتقلُّده منصب القائد الأعلى لجيشها، إلى أن تم استدعاؤه وتكليفه بشغل منصب المعتمد البريطاني لدى الحكومة المصرية بعد وفاة السير (الدون غورست) ورحيل اللورد (كرومر) من قبله؛ لفشل سياسة الوفاق التي كان يتبعها وأدت إلى تدخُّل الخديوي في شؤون الحكم على نحوٍ اهتزت له سيطرتهم على مقاليد الأمور، فأصبحت الأحداث على صفيح ساخن بخطة إنجليزية مُحكَّمة تم بها محاصرة خديوي مصر الوطني (عباس حلمي الثاني) وتحييده وإنهاك قوته تمامًا في النضال ضدهم، ثم شقَّ الصف بدفع حزب الوطن الذي أسسه (مصطفى كامل) ومن بعده (محمد فريد) لتشويه صورة (أحمد عرابي) في آخر أيامه، و اتهامه بجلب الخراب على البلاد، ثم التفتوا بعدها إلى (محمد فريد) نفسه وقاموا بتلفيق تهمة عبثية له كانت عقوبتها النفي، ثم حان الوقت لمعتمد بريطاني قوي، يعيد إحكام السيطرة وبسط النفوذ وإجهاد أي محاولة للنهوض.

عادت الحياة لعيني اللورد، واستيقظ من شروده على صوت نعيق البارجة الحربية، معلنةً دخولها رصيف ميناء الإسكندرية.

شد جسده، وتنفس رحيق الثقة، ثم صعد للسطح ورنأ ببصره حيث مراسم الاحتراف تنتصب على رصيف الميناء، الجميع بلا استثناء في انتظاره. نزل سُلَّم البارجة في خيلاء يتبعه أعضاء الوفد وضباط من

الجيش الإنجليزي، ما إن وضعوا أقدامهم فوق الرصيف؛ حتى اهتزت الأرجاء بدويّ عنيف من المدفعية الإنجليزية، تُطلق إحدى وعشرين طلقة تحية للمعتمد البريطاني الجديد، تبسم على إثرها وانتفخت أوداجه فخرًا، وحين شرع يغادر الميناء؛ اهتزت الأرجاء من جديد بإحدى وعشرين طلقة مدفعية من الطواحي المصرية أيضًا تحيةً للورد. نفس الطواحي التي بناها (أحمد عرابي) وأتباعه بأيديهم عام 1882م، لمقاومة وصد اجتياح جيش الإنجليز بقيادة اللورد (كتشيز) نفسه لشواطئ الإسكندرية، وبالفعل كبدهم خسائر فادحة. ها هي الآن تُحيي اللورد في بادرة مريرة تنم عن نجاح ساحق لخطة شقّ الصف.

- مبارك سيدي اللورد.

تبسّم (كتشيز) لمباركة (تيري) الهامسة بعد تحية المدفعية المصرية له، شعر أن مهمته ستكون ميسورة دون معوقات. تحدث لضابطه:
- لم يأتِ ذلك اللعين لمقابلتي! لن أنسى تصريحاته عقب (حادثة الحدود) ⁽¹⁾. لن أرحمه.

تبسم (تيري) يبرر لقائده:

- سيدي، الخديوي (عباس حلمي الثاني) قابع في قصره بالإسكندرية، أسير اليأس مكبل الإرادة ينعي حظه الذي أوقعه مرة أخرى مع سيادتكم بعد العداء القديم.

- نعم، لقد تفاجأ بقدمي من جديد، هو لن يتوقع سبب مجيئي المباغت وما أبحث عنه؛ ومن أجله تركت منصبني في قيادة جيش الهند والجيش البريطاني نفسه.

(1) حادث مأسوي وقع للجيش المصري عام 1894م عندما كان اللورد كتشيز قائد عام للجيش، فأصدر يومها الخديوي (عباس حلمي الثاني) تصريحًا ونقدًا لاذعًا ضد (كتشيز)، ومن يومها استعر بينهما عداوة وندية.

ارتضى اللورد تبرير الضابط، ثم طار ذهنه للمستقبل وما يؤرقه من مهمة أخرى أكثر خطورة، ارتبك لتذكرها فغمّد يده داخل سترته وسحب ساعة معلقة بسلسلة ذهبية متصل طرفها بالجيب الداخلي للسترة، أشارت عقاربها للسادسة مساءً بتوقيت القاهرة، أعادها حين دنا منه (تيري) يهمس له:

- سيدي، لا تلقِ للأمر بالألأ، سنكون هناك فجرًا، المكان قريب من أطراف الإسكندرية، فقط استعد لكلمتك في اجتماع الأحزاب المقرر لسيادتك عقده اليوم.

- لا (تيري)، أخبرهم أن اللورد متوعك اليوم وسيؤجل الاجتماع لغد؛ لأنني سأقوم بالإشراف على المهمة بنفسي.

امتقع وجه (تيري) لقرار اللورد، تراجع بلا تعليق، لقد خرج اللورد عن الجدول الزمني الذي وضعته لندن، غير أنه لا يملك الاعتراض.

بعد تسع ساعات

اكتست السماء الصافية بزُرقة فجرًا منيرًا، راح يزحف على ظلام ليل، غرقت فيه بيوت قرية مصرية فقيرة تابعة لمحافظة لصيقة بمحافظة الإسكندرية؛ فأحاطها سكونٌ وظلامٌ تامٌ، لا يهتك ستره سوى مشاعل كيروسين، تتسرب خيوط لهيبتها المتراقص عبر شقوق منازل جصية لم ينم أهلها بعد.

- أخذت الدواء، لكنها ما زالت تسعل بشدة.

تسربت العبارة عبر شقوق جدار أحد المنازل الساهر أهلها، تشي مريض يتم تهريضه بالداخل. فتاة صغيرة يجلس على طرف فراشها

الربث أبُّ ملتاع وأم مهمومة، تضع رأس الفتاة على ساقها ولا تملك من الأمر شيئاً.

زفر الأب في ضيق متبرماً، حمل الفتاة من فوق ساق والدتها. أزمة ضيق التنفس الناجمة عن أمراض الصدر تحتاج لهواء نقي، هو يعلم ذلك من سابق تجربته مع ابنته (عبير) المريضة ذات الستة أعوام، والأم تعلم ذلك أيضاً؛ فقد أحضرت معطفاً متهاكاً وألقته فوق كتفي الفتاة ودرثتها به، غادر الأب المنزل يخطو ببطء فوق الأرض الترابية يُهدد ابنته ويحثها على ملئ رثيها بالهواء النقي، كان يعرف تأثيره جيداً علي فلذة كبده التي لم يُرزق سواها، محور حياته ونسمات قلبة الرطبة وثروته التي لم يجن سواها، بجانب قطعة أرض زراعية صغيرة جداً يحرثها ويزرعها ويقتات من ثمارها، ساقته قدماه بعيداً وسط الظلام حيث أرض جرداء لم تنبت نباتها، شاردًا هائماً يمزق قلبه سعال ابنته الذي أخذ في التناقص تدريجياً كلما تنفست الهواء النقي، التفت يشرع في العودة لكن صوتاً مريباً نبع من خلف تل قريب أثار في نفسه رجفةً وخوفاً، تأرجحت جوارحه بين خوف من المجهول وفضول جامح استحوذ على قلبه.

تسلق التلّ وبلغ قمته حين وقعت عيناه بالأسفل على وادٍ ترايب واسع تحيطه الأشجار، وعلى مد بصره شاهد منطقة يموج فوقها غبار وأتربة كثيفة مجهولة المصدر، ظهر بغتة من بين الأشجار رجلين مكمني الأنوف يركضان تجاه فقاعة الغبار حتى غابا داخلها للحظات، حين تصاعد هدير محركات؛ ركض على إثرها الرجلان وتواريان من جديد وسط الأشجار، فوئى الأب وجهه شطر أقصى اليسار ليُطالع تلك العربات المخيفة التي سماها المصريون عند ظهورها أول مرة قبل عشرين عاماً

بـ(العربة التي تجرّها الشياطين) نظرًا لعدم وجود دواب تسحبها. كان أول عهد البلاد بالسيارات الميكانيكية التي تعمل بالوقود، وبعدها بأعوامٍ توافدت العربات الميكانيكية على مصر. (2)

لكن لم يُنح عددُها القليل لأهل قرية صغيرة من مشاهدتها، توقفت وسط غبارٍ راح ينقشع رويدًا رويدًا، ترَجَلَّ من السيارة بضعة رجال احتواهم الغبار دقائق، وحين انقشع وجدهم عاكفين أرضًا على شيء ما في أماكن متفرقة، سقطت منه نصف ساعة يراقبهم في دهشة وهم يقومون بنقل شيء ما للسيارات، وما إن انتهوا حتى انطلقوا مغادرين الموقع والقرية بأكملها.

بقي ساكنًا يخفق قلبه، وتُلهب عقله مخاوف وتساؤلات لا إجابة لها سوى الذهاب لذلك الموقع.

ألقى نظرة على ابنته، نسيها مغمضة العينين نائمة في سكون، دثرتها أكثر بالمعطف وضمها إليه ثم هبط بها للجانب الآخر من التل، وراح يخطو بحذرٍ صوب الموقع، دنا من آثار متفرقة ومربية وقف أمامها حائر الجوارح، يحاول تفسير ما يرى، خوف مبهم دفعه لوأد فضوله والتراجع بحرصٍ، حين تعثر واختلّ توازنه، سقط فانفلتت منه ابنته، أجفلت مع سقوطها أرضًا بالقرب من فوهة فجوة صغيرة يتصاعد منها بخارٍ طفيف، راحت تصرخ في ذعر وداهمها سُعال حاد، وفوجئ والدها بيدٍ تقبض على ذراعه تُعيّنه على النهوض، ويدٍ شخص آخر تحمل ابنته، هرول وانتزع ابنته من يد ذلك الرجل، دار بعيناه في وجوههم ثم استدار وأطلق ساقيه للريح كمن تطارده الشياطين.

(2) حقيقة، وقد بلغ عددها في ذلك التوقيت فقط 110 سيارة في القاهرة و56 بالإسكندرية.